



الجامعة الإسلامية في مينيسوتا
Islamic University of Minnesota
المرکز الرئيس

شرح الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية



د. أبو بكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ثمّ أما بعد:
فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل
مُحدثَةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد:-

فهذا هو (المجلس العاشر) من شرح «الفتوى الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله
تعالى. وقد بلغنا في الفتوى إلى قول أئمة السلف في إيضاح عقيدة أهل السنة والجماعة في
أسماء الله -عز وجل- وصفاته.

روى الإمام ابن خفيف قال: "لا نزل أحدًا جنة ولا نارًا حتى يكون الله ينزلهم".
قال: "وهذا يشمل المسلمين والكفار بالتعيين، وليس معنى هذا أننا لا نشهد لأهل الإسلام
بالجنة، ولأهل الكفر بالنار على سبيل العموم ومن جهة النوع، بل نقول من مات على الشرك
فهو مخلص في النار أبد الأبدين إذا بلغته رسالة محمد ﷺ، ومن مات على الإسلام فهو في
الجنة".

- والمعنى من كلمة "لا نزل أحد جنة ولا نارًا": أي على سبيل التعيين، فلا نقول أن فلان
هذا في الجنة، أو فلان هذا في النار إلا ما شهد له الوحي أو جاء في النص، ولا بد فيه
من دليل بكونه في الجنة أو في النار.

قال: "والمراء والجدال في الدين بدعة إذا كان المراء على غير دليل، وهو الذي يقوم على تخطئة الآخر ومعارضته بأي طريق، وذكر الشبهات دون أن يكون الغرض الوصول للحق الذي في الكتاب والسنة".

قال: "ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله".

قضية الخلاف بين الصحابة من القضايا المهمة جدًا، والمميزة بطريقة أهل السنة والجماعة. الأصل السكوت عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، والفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية -رضوان الله عليهما- لأنه كثيرًا منه زيد فيه، ونقص منه، وغير عن وجهه. ما صح ذلك فيه -ما صح يعني ذلك في هذه المسألة- فهم فيه معذورون بين مجتهد مخطئ ومجتهد مصيب، كان الأرجح أن الاجتهاد الصحيح هو اجتهاد علي -رضي الله عنه-، والذي أخطأ في اجتهاده هو معاوية -رضي الله عنه-.

لذا نقول أمرهم إلى الله في تفاصيل ذلك، وإن كان جمهور أهل العلم يرون أن عليًا -رضي الله عنه- كان أقرب الطائفتين.

***** (غير مسموع)

قال: "القول في اللفظ والملفوظ وكذلك في الاسم والمسمى بدعة"

- اللفظ والملفوظ -وهي مسألة التلفظ- الذي هو فعل العبد، والملفوظ أشمل. فالجهمية يقولون اللفظ بالقرآن مخلوق، واللفظ كلمة مشتركة تحتل معنى صحيحًا ومعنى باطلاً فلا يجوز إطلاقها. ولو كان قصده تلفظي -الذي هو فعل العبد سيكون مخلوق- فهذا معنى صحيح.

لكن لو قصد أن القرآن نفسه -الذي هو كلام الله- مخلوق؛ فهذا الكلام باطل، ولذلك هذا الإطلاق بدعة.

قال: "وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والصحيح ألا يقال أن الاسم والمسمى ولا غيره بل يقال الاسم للمسمى، والاسم مطلق ويراد به المسمى".

• هم يريدون أن يقولوا أن الأسماء -أي أسماء الله- مخلوقة، والاسم غير المسمى، على أساس أن الأسماء مخلوقة.

نقول: الأسماء من كلام الله، فالله الذي سمي الله نفسه بها وقالها تبارك وتعالى، ووصف نفسه بها، فلذلك نقول الاسم المسمى وهو يدل على المسمى.

قال: "وأكثر الاطلاقات في إطلاق الاسم والمراد به الذات المسمى للكلمة وليس الكلمة، لذا في أسماء الله تعالى أنك إن دعوت الرحمن فقد دعوت الله فأنت أطلقت الاسم وأردت المسمى".

قال: "واعلم أنني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مُجملاً من غير استقصاء، إذ تقدم القول من مشايخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة، إلا أنني أحببت أن أذكر عقود أصحاب المتصوفة -العقائد-".

• وهؤلاء على أهل السنة.

قال: "فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول -من الخرص والتخمين والكذب- بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك".

- طبعًا هذا كان في ذلك الزمن، أما الآن فأصبح مصطلح الصوفية يشير إلى كثير من البدع العقدية والعملية.

إلى أن قال: "وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتابه سماه «التبصير»، كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقدونه ويذهب إليه. فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله، فذكر عن طائفة إثبات الرؤيا في الدنيا والآخرة، ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة، فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم".

- هؤلاء متصوفة مبتدعة عاصروهم الطبري، وكانوا يثبتون رؤية الله في الدنيا والآخرة لكل الناس ولا يخصصونها بالنبي ﷺ، وإن لم يبين كونها بالقلب أم البصر. وغيرهم من الصوفية المبتدعين يثبتون الرؤية في الدنيا لأحاد المتصوفة وأحاد الأولياء.

فيقول ابن خفيف أنه جهل أقوال المخلصين من الطائفة "وأنه ليس إلا في حق النبي ﷺ، وقد ذكرنا أن الراجح أنه رآه بفؤاده ﷺ، وقوله ﷺ عام: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا" [المصدر: الغنية في مسألة الرؤية].

- إذا ابن خفيف يظهر وكأنه يعارض تعميم القول ببدعية الصوفية في المعتقد، ويقول أن هذا الذي نقله الطبري ليس عن المخلصين منهم.

قال: "وكان من نسب إليه ذلك القول بعد أن ادعى على الطائفة ابن أخت عبد الواحد بن زيد والله أعلم بمحله عند المخلصين فكيف بابن أخته؟ وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولًا نسب إلى الجملة"

• أراد أن يقول: أن لا تعمم، وأن عبد الواحد بن زيد نفسه ليس إمام كبير فكيف بابن أخته؟

"وليس إذا أحدث الزائع في نحلته قولاً نسب إلى الجملة": أي لا تعمم هذا على جميع الصوفية.

"كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه، أو لبس فيه حديثاً ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين"

• لا شك أن الخطأ ينسب لقائله، لا تعم السيئة، هذا كلام موضوعي ومنصف.

قال: "واعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، ويطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ وحسير".

• طبعاً هذا الكلام فيه نظر، يعني هذا الدفاع عن المرموزات والإشارات التي قد يطلقونها، وقد توهم كفرًا وبدعة وزندقة، وبعد ذلك يتهموك أنك لا تفهم الإشارات، أنت لا تفهم ما يقصده!

نقول: لا، فهذه الإطلاقات التي أطلقتها هي إطلاقات كفرية كمن يقولون في زمننا مثلاً:

- اللهم انشلي من أحوال التوحيد وأغرقني في بحر الوحدة.
- أو كمن يقول أن إبليس رسول الله وأنه رسول الضلالة.
- انشلي من أحوال التوحيد وأغرقني في بحر الوحدة: التوحيد نقصد به التجسيم، والوحدة نقصد به التوحيد الخالص والشهود لله -عز وجل-.

فكل هذا كلام باطل حتى لو أنت أردته وأطلقت إطلاقات كفرية لا يجوز له.

طبعًا لا شك أن هذه الرموز والإشارات كانت سببًا في كثير من الانحرافات؛ لأن الألغاز والأقوال المبهمة المحتملة أقوال ومعاني مختلفة يترتب عليها دائمًا انحراف في الفهم، وما عصي الله أصلًا إلا بالتأويل.

قال: "وتعسير العلم وتغيير مناهج السلوك وليس هناك أحسن من الرجوع في ذلك للكتاب والسنة. ودفاعه عن هذه الطائفة بهذه الرموز بأنه لن يفهمها إلا من دخل معهم"

- يعني هذا مبرر ليس جيد، وقد استنكر الإمام أحمد على المحاسبي أمثال ذلك.

قال: "ثم ذكر اطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثير ما يقولون: "رأيت الله". وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته، فقال السائل كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان، ثم قال: وأنه تعالى يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله ﷺ، هذا قولنا وقول أئمتنا دون الجاهل من أهل الغباوة فينا.

وإن مما نعتقد أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم وذكر ذلك في حجة الوداع.

فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين، يرفع عنه التكليف ويباح له كل شيء إلا المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس، وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات فذلك كفر بالله، والقائل بذلك قائل بالإباحة وهم المنسلخون من الديانة".

- ماذا يعني قول جعفر بن محمد: رأيت الله بقلبي؟

أي العلم وليس الرؤية التي رآها النبي التي هي خاصة بالنبي ﷺ: "أتاني اللَّيْلَةُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ" [صحيح الترمذي].

وهذه رؤية منامية في الحقيقة، رؤية قلبية خُصَّ بها رسول الله ﷺ، وهي رؤية حقيقية بقلبه.

لكن غير النبي من الأولياء أو عامة الصالحين يرونه رؤية علم أي إدراك، لكنهم لا يرونه على الحقيقة حتى بقلوبهم.

- هل من الممكن غير النبي ﷺ يرى الرب عز وجل في المنام؟
نعم يرى نورًا ولا يرى ربه تبارك وتعالى على الحقيقة، ليس كالنبي ﷺ في ذلك.

هذا الكلام مهم جدًا أيضًا في كلام ابن الخفيف في مسألة أنه يقول برفع التكليف، وأن من قال برفع التكليف عنه وأنه وصل إلى اليقين ورفع التكليف عنه ويباح له ما يحظر على المؤمنين، أن هذا كفر وهذه قضية في منتهى الأهمية أن يبينها.

قال: "وأما مما نعتقده ترك إطلاق تسمية العشق على الله تعالى".

- وهذا التوضيح مهم جدًا في قضية العشق الإلهي التي ابتدعها الحلاج وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وجلال الدين الرومي وشمس التبريزي حيث أنه باطل عظيم.

"وبين أن ذلك لا يجوز اشتقاقه وعدم ورود الشرع به"

- لأن العشق محبة مع شهوة في الحقيقة وعلاقة محرمة.

قال: "وأدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.

وإن مما نعتقده أن الله لا يحل بالمرئيات، وأنه متفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه - منفصل عنهم- مستوٍ على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق".

- شرحنا ذلك مسبقًا ما فيه الحلول الخاص والعام، والعلو والبينونة متلازمان كما ذكرنا أكثر من ذلك.

اعتقاد أهل الإسلام أن من يقول بحلول الله في الأجسام أو في المخلوقات التي سماها هنا المرئيات، أو يحل في أحد من خلقه فضلاً أن يحل في جميع خلقه فهو كافر.

فكان هذا النفي من ابن خفيف ردًا على الصوفية الذين يقولون بقول الجهمية القدماء: أن الله في كل مكان، وكثير منهم يقول بالاتحاد وأن الله يحل في ذات من وصل إلى اليقين، ككلام ابن الفارض وابن عربي والحلاج والشاذلي الذين يصرحون بالوحدة، فكان هذا الجواب في نفي الحلول ونفي الوحدة أيضًا.

قال ابن الخفيف: "وإن مما نعتقد أن الله لا يحل في المرئيات وأنه متفرد بكمال أسمائه وصفاته بائن من خلقه مستوٍ على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق حيثما تلي ودُرس وحُفظ".

- إذاً كلام الله غير مخلوق، أما الصوت مخلوق -كصوت القارئ-، أما عن الذهن الذي يحفظ، والحبر الذي يكتب، الورق الذي يكتب عليه، كل هذا في الحقيقة مخلوق لكن الكلام نفسه غير مخلوق.
- إذاً الحافظ القارئ مخلوق، التلفظ مخلوق، لكن الكلام المنقول والمحفوظ والمتلو والمكتوب كلام الله غير مخلوق.

"ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا واتخذ نبينا محمدًا ﷺ خليلًا وحبیبًا".

- والخلة هي المحبة، ولم تثبت في الحقيقة أن إبراهيم خليل الله والنبى ﷺ حبيب الله، بل النبى ﷺ خليله أيضًا، وخلته أعظم من خلة إبراهيم.

قال: "والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: أن الخلة هي الفقر والحاجة"

نقول: لا بل الخلة هي المحبة في الحقيقة وشدة المحبة حبًا عظيمًا.

فالمعتزلة طبعًا ينفون عن الله صفة المحبة وصفة الخلة، فنحن نثبتها كما يليق بجلاله وكماله.

إلى أن قال: "والخلة والمحبة صفتان لله وموصوف بهما، لا تدخل أوصافه التكييف والتشبيه وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف.

أما صفاته تعالى فمعلومة في العلم وموجودة في التعريف قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان بها واجب واسم الكيفية عن ذلك ساقط"

● إذاً صفة المحبة والخلة عند المخلوقين جائز أن نعلم كيفيتهما، أما الصفة لله -تبارك وتعالى- الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قال: "ومما أعتقد أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات".

● هذا أيضاً لأن الصوفية تنكر الأسباب، وهم جبرية.

"بينما حرم الله الغش والظلم. وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مبتدع.

إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء"

● أي بعض الصوفية يترك التجارة والعمل؛ بحجة أن الكثير منها فيه غش أو ظلم،

لذلك نترك الأمر برمته، وهذا كلام باطل لا تلازم بين التجارة وبين الغش وبين الظلم،

قد تستطيع أن تفعل ذلك بدون غش ولا ظلم.

قال: "إنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارات، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة

جائز إلى يوم القيامة. وإن مما نعتقد أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه

من جميع الجهات (هذا يستحيل، فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها)؛ لأن ما طالهم به موجود إلى يوم القيامة.

والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقلبون في الحرام؛ فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع لا أنه مفقود من الأرض".

• هذا كلام رائع يرد على الموسوسين والمتنطعين.

"ومما نعتقده أن إذا رأيناه من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه و ماله وطعامه"

• يعني لا يتشكك في طعام الناس ما دام ظهر له أنهم يتناولون الأسباب الحلال حتى لا يدخل في الوسوسة.

"فمنهم مثلاً هؤلاء المتنطعون لا يقبلوا هدية من أحد إذا شكوا أن ماله من حرام، وإذا قدم له الطعام يقول لعله غير مزي، فلا يصح أن نترك طعاماً لمجرد الشك في صاحبه، وما دمنا لم نتيقن أنه محرم فلا يصح أن نتهم صاحبه لا سيما المسلمين.

قال: "فليس علينا الكشف عن ماله، فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظلمة".

استثنى من داخل الظلمة وقد كره الإمام أحمد أن يأكل الرجل من أموال من أخذ من أموال السلاطين بغير وجه حق"

• إذا كان معروف عنه الغصب والاحتيال والنصب والأكل الحرام فهذا أمر آخر.

قال: "ومن لا يزغ عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك فالسؤال والتوقي، كما سأل الصديق غلامه، إن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلط فلا يطلق عليه الحلال ولا الحرام بل مختلط إلا أنه مشتبّه.

فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق، وأجاز ابن مسعود وسلمان قال: كل منه وعليه اتبع.

" عَنْ ذَرِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ لِي جَارًا يَأْكُلُ الرِّبَا، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْعُونِي، فَقَالَ: مَهْنُوهُ لَكَ وَإِثْمُهُ عَلَيَّ، قَالَ سُفْيَانُ: فَإِنْ عَرَفْتَهُ بِعَيْنِهِ فَلَا تُصِبهْ" [حديث صحيح مرسل]

وروى عبد الرزاق عن سلمان الفارسي قال: "إذا كان لك صديق عامل أو جار عامل أو ذو قرابة قرابة عامل فأهدى لك هدية أو دعاك إلى طعام فاقبله فإن مهنوه لك وإثمه عليه"

- الأصل أنك تأكل بنية الحلال فيه إذا كان المال مختلط.

قال: "والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة"

- طبعًا وأحسن من ذلك الورع.

"السؤال عن من اشتبه ماله كان فيه حرام بعينه وحلاله عند ذلك يسأله، وأما إذا اختلط بحيث لا يمكن التمييز أو وقع ذلك نوع الاختلاط في ذمته، أو كان الحرام ليس حرامًا بعينه ولكن بطريقة الكسب التي اختلطت فعند ذلك يجوز الأكل طالما أنه مختلط بنية أن يأكل من الحلال.

قول ابن مسعود وسلمان -رضوان الله عليهما- والصحيح في الباب، وفعل أبي بكر عندما علم أن عين المال الذي اكتسبه غلامه من حرام من كهانة تكهن بها فقائه أي تقيؤه -رضي الله عنه-

"

قال: "وإن مما نعتقد أن العبد ما دام أحكام الدار الدنيا جارية عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله"

{فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩] وبما أخبر به عن نفسه.

قال الإمام الطحاوي: والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، ومن قال: لا أخاف الآخرة؛ كفر، ومن زال من قلبه أصل الخوف أو أصل الرجاء كفر.

"وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك، ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ماله وما عليه"

• العبودية لا تسقط، والتكليف لا يسقط كما يقول بعض الزنادقة.

قال: "فيبقى على أحكام القوة والاستطاعة إذ لم يسقط الله ذلك عن الصديقين والشهداء والصالحين.

ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحادية المبدئية (وهي قضية أنه يكون هو الله، يتحد به أو يحل الله فيه) بعلائق الآخرة -أي إذا أيقن بآخريته-، فمن أيقن بآخريته واضمحلال الكائنات عندها يصل إلى درجة الفناء وإلى إسقاط العبودية -كل هذا كلام كفري- أن يتحد الأول بالآخر فهو كافر لا محالة إلا من اعتراه علة أو رافة"

• يريد أن يقول أنه اعتراه الجنون.

قال: "فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً، وقد اختلط عقله أو لحقته غشية، يرتفع عنه بها أحكام العقل وذهب عنه التمييز والمعرفة فذلك خارج عن الملة مفارق للشرعية"

• نقول بما أنهم ما داموا مجانين فلا تحتجوا بكلامهم.

لا تقولوا أن البسطام قال: سبحاني سبحاني ما أعظم شأني! فيقولون لك: أنك لا تفهم.

لا بما أنهم مجانيين انتهى الأمر، فنحن عندما نقول مجانيين ورفع عنهم التكليف، ولا يصلح معهم الاقتداء، يقولون لك: هؤلاء أئمة، هؤلاء أولياء.

نقول: هؤلاء مجانيين، وهذا حسن الظن بهم أفضل من أن نعتبرهم كفار.

"ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وعلى ماذا يموتون، ويختم لهم بغير الوحي من قول الله وقول رسوله ﷺ، فقد باء بغضب من الله"

• إدعاء معرفة الغيب، يدعون علم الغيب كالكهنة يشابهون الطواغيت.

نسأل الله -عز وجل- العفو والعافية.

"والفراسة حق على أصول ما ذكرناه وليس ذلك مما رسمناه في شيء، ومن زعم أن صفاته تعالى ويشير في ذلك إلى غير الأيدي والعصمة والتوفيق والهداية، وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة، فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام وذلك كفر لا محالة"

• كمن يقولوا أن صفاته تشبه صفات الرب -نسأل الله العفو والعافية- ككلام النصارى في المسيح.

"ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة وهذا لا نزاع فيه بين مسلم"

• لأنه كان الله لم يكن شيء معه، كان الله ولم يكن شيء قبله.

"ومن قال أنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح، حيث قالوا أن روح المسيح -اللاهوت- غير مخلوق، أما الناسوت فمخلوق خلافاً لجماهير النصارى الذين يقولون بأن اللاهوت والناسوت كلاهما غير مخلوق"

النسطورية يشبهون الكاثوليك، وجماهير النصارى الذين هم أرثوذكس.

كاثوليك يقولون: طبيعتين للمسيح طبيعة إلهية، وطبيعة ناسوتية إنسانية، وأن الناسوت - الجسد- هو الذي صلب، لكن الأرثوذكس يقولون: أن الآب والإبن اتحدوا، ولا يوجد طبيعتين للمسيح، إنما هي طبيعة واحدة، هو إله من إله، من جوهر أبيه، نور من نور ينبثق من قبل كل الدهور، وأن الذي اتصلب هو الله شخصيًا على الصليب، نسأل الله العفو والعافية.

"من قال ذلك فقد كفر بالله العظيم، ومن قال أن شيئًا من صفات الله تحل في العبد أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر"

- ولكن يوجد بعض الناس الذين لديهم فهم خاطئ في قول الله -عز وجل-: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [الحجر: ٢٩]، فيعتبرون أن عيسى فيه جزء من الله حل في جسد الإنسان، وأن الروح بهذا المعنى هي من الله تعالى وغير مخلوقة كأنها صفة من صفات الله. كالإلحاد الروحي الذي يقوله أحمد عمارة وغيره: "ربنا داخلك"، فهذا كلام باطل، بل هي روح مخلوقة نسبت إلى الله تشريفًا.

- كذلك من ظن في قوله: {وَرُوحٌ مِّنْهُ} [النساء: ١٧١] أن "من" للتبعيض، وأن عيسى جزء من الله فهو كافر بالإجماع.

- وكذلك قوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [الحجر: ٢٩] عن آدم، فيظن أنها للتبعيض، لذلك قال من قال بالتبعيض على الله فقد كفر. ومن قال أن شيئًا من صفات الله حال في العبد فقد كفر.

والصحيح: أنها من الإضافة للأعيان، والأعيان كلها مخلوقة، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف، أو إضافة ملكية كناية الله وبيت الله، فعيسى روح الله أي روح المخلوقة المنسوبة إلى الله تشريفًا.

"قوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} أي روح المخلوق التي خلقها الله، ونسبها لنفسه تشريفاً، وكلام ابن خفيف يدل على فهم مسائل الاعتقاد مما اختلف فيه الناس بشكل واضح.

قال: "والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق"

- إذا القرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة، وسمعه منه جبريل، فأداه كما سمعه إلى محمد ﷺ، وأنه كيفما تلي وقرئ وحفظ وهو صفة الله عز وجل، وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلو.

التلاوة فعل العبد، أما المتلو الكلام نفسه فهو كلام الله -تبارك وتعالى-.

"أفعال العباد مخلوقة، أما أفعال الله فهي صفة من صفاته وهي غير مخلوقة؛ لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات، فكما أن الذات غير مخلوقة فكذلك صفات الله غير مخلوقة؛ لأنه -عز وجل- بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر، ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة"

لا يقصد على من يكتفي بالتجويد ولغة، بل يتحدث عن التمطيط وإضافة مدود فضلاً عن الكلام عن المقامات الموسيقية، وأن القصائد بدعة، والأناشيد واستبدالها بالقرآن هذا هو البدعة والتقرب إلى الله بها، وتفضيلها على كتاب الله عز وجل وتسميتها السماع.

السماع الحقيقي: هو سماع كلام الله -عز وجل- {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: ١٨].

لكن الشعر في حد ذاته حسنه حسن وقبيحه قبيح، الرسول ﷺ كان يسمع الشعر، لكن لا يكثر الإنسان منه.

قال: "ومجراها على قسمين، فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه وإظهار نعت الصالحين، وصفة المتقين فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به. وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر، نسأل الله العفو والعافية"

- يعني وصف امرأة، عشق امرأة ووجهها وعينها، وكأنه يتكلم عن الله مثل ما حصل في المثنوي، كلام جلال الدين رومي الأربعة وعشرين ألف بيت تكلم في العشق الإلهي خاطب الله على أنه امرأة، كل هذا في الحقيقة كفر.

قال: "واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر"

- طبعًا تكون في وصف النساء والمردان وكأنه يخاطب الله.

قال: "واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق"

طبعًا وبدعة عظيمة أن الرقص تدخله في التدين، مثل الرقص المولوي، الرجل يرتدي فيه تنورة ويلف بها كل هذا فسق وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب.

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف: ٥١]

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً} [الأنفال: ٣٥].

كلام باطل، حتى الغزالي قدم سماع الصوفي على قراءة القرآن كلام باطل لما يحدث فيه من الوجد أعظم الباطل.

ولولا التأويل لقلنا بالكفر، هذا يدل على مرض القلب لا شك.

"وحرام على كل من يسمع القصائد ورباعيات الملحنة الجاري بين أهل الأطباع على أحكام الذكر، وكأنها هي أذكار"

وطبعًا معانيها في التشبيه والتجسيم كفر.

قال: "إلا لمن تقدم له العلم وأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك وما يليق به -عز وجل- مما هو منزله عنه فيكون استماعه كما قال: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: ١٨]."

- يريد أن يقول أن من يسمعها وهو معتقد الاعتقاد الصحيح في الله -عز وجل-، وأنه لا مثل له ولا شبيه له تبارك وتعالى، ولا ند ولا عدل ولا شريك ولا ظهير أنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحدًا، وأنه سيحمله على بعض المعاني الحسنة فإنه من باب قياس الأولى إن كانوا يبذلون هذا في حب المخلوق فكيف بحب الخالق تبارك وتعالى؟ فهذا يبعد عن الكفر، ونقول خلاف الأولى.

لكن الكلام فيه على أنه يخاطب الله: كهجرتني وابتعدت عني وغير ذلك، كل هذا الكلام لا يجوز على الله -تبارك وتعالى-، وإن اعتقد التشبيه كفر، نسأل الله العفو والعافية. وهذا من سوء الأدب كلمة هجرتني وابتعدت عني، وغير ذلك.

"وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله فهو كفر لا محالة-أي جهل التوحيد- واستمع القصائد التي بها وصف المخلوقات على أنها الله، فهذا كفر لا محالة".

طبعاً كل هذا كفر نوع، يعني نكفر عيئاً بعد إقامة الحجة، وإن كان هذا معلوم من الدين بالضرورة أن الله -تبارك وتعالى- ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فيبعد جهله بمثل ذلك وكأنك في الحقيقة تقول بتجسيد الإله فتشابه النصارى.

قال: "بل ترك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة إلى أن قال: واتخاذ المجالس على الاستماع والغناء والرقص بالربيعيات بدعة".

- نسأل الله العفو والعافية، فأنت أحدثت في الدين ما ليس منه.

"وذلك مما أنكرهم المطلبي أي الشافعي، ومالك، والثوري، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، والاقتهاء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد، قال: مثل أيش؟ قال: مثل قوله: اصبري يا نفس حتى تسكني دار الجليل، فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد، فقال: كذبوا، والله الذي لا إله غيره لا يسكن بغداد من يستمع لذلك"

طبعاً البدعة هنا في اجتماع الناس على استماع الرباعيات لأجل تهذيب النفوس بها، أما مجرد الإنشاد بدون الموسيقى فجائز عند الحاجة إليه: كعند قدوم وقت، أو بعد معركة، أو أثناء السفر.

وهذا كان يفعله الصحابة: "والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأُنزل السكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا".

وكذلك عند الجهاد ورد هجاء ما يهجو النبي ﷺ، ولكن لا يجعل راتبًا في توقيت معين، وتخصيص وقت معين ويجتمع عليه كالسُّنة.

قال أبو عبد الله: "ومما نقول وهو قول أئمتنا أن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكفف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله ﷺ: **"والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله، فيسأله أعطاه أو منعه"** [مسلم والنسائي وأحمد ومالك] ففي الباب من حديث الزبير ابن العوام.

"فنقول أن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف".

● أي عنده ما يكفيه من المال فيتفرغ للعبادة.

قال: "والاستغناء عن ما في أيدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح -صحيح الجسم- فهو مذموم في الحقيقة خارج"
- أي خارج عن طريقة القوم، أي هم الصوفية.

قال ﷺ: **"مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُمُوشٌ -أَوْ خُدُوشٌ، أَوْ كُدُوحٌ- فِي وَجْهِهِ"** [الترمذي والنسائي وابن ماجه]

إذا الفقر لا يمدح لذاته، بعضهم ينخلع من ماله عند دخول طريقة الصوفية، ويترك التكسب ولا يجوز ذلك، ويأخذ من الزكاة: **"ولا حظَّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مُكْتَسِبٍ"** [صحيح أبي داود] ، فالأنبياء والرسل كانوا يعملون لكسب قوتهم.

قال: "ونقول أن المستمع إلى الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال ﷺ: "الغناء ينبتُ النفاق في القلب" [المصدر: المغني لابن قدامة]، وأن لم يكفر فهو فسق لا محالة".
يكفر بالاستحلال والتقرب بما ليس بقربة بعد إقامة الحجة، وبسماع القصائد على الله، وأنواع من الكفر يمكن أن تحدث فإن سماع الآلات فسق بلا شك.

قال ﷺ: "ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّونَ الجَرَ والحريَرَ والخمرَ والمعازِفَ" [صحيح البخاري]
الحر والحريز، أي الزنا والخمر.
والذي نختاره قول أئمتنا: أن ترك المرء في الدين والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق"

• ترك المرء قلنا الذي ليس على دليل، وإنما على طريق المتكلمين والفلاسفة وليس مراده الوصول للحق من الكتاب والسنة.

"والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق".

• طبعًا لا شك أن الإيمان يقصد به الشرائع التي شرعها الله، وهو شرعها بكلامه، وقد دخل في لفظ الإيمان مخلوق أن ما تكلم الله به من الأوامر والشرائع مخلوق.

إذا لو كانت الأوامر والشرائع التي شرعها الله وقالها الله غير مخلوقة فلماذا هي فعل العبد؟
فكل أفعال العباد مخلوقة بالإجماع؛ لأن التفصيل في هذا الأمر مهم.

قال: "ومن زعم أن الرسول ﷺ واسط يؤدي، وأن المرسل إليهم أفضل -أي الأولياء- فهو كافر بالله، كما قال ابن عربي: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي.

• يقرر أن الولي في المرتبة الأولى، يليه النبي، ويلهما الرسول.

يرى أن مقام الأولياء فوق مقام الأنبياء؛ لأن رسول واسطة يؤدي الرسالة، والمرسل إليه أفضل منه، كما يرسل الملك رسالة إلى الملوك وهم أفضل من الرسول الذي ذهب إليه، ومن قال ذلك فهو كافر.

ومثله في الكفر من فضل أئمتته على الأنبياء كالشيعة الغلام، حيث قال الخميني: إن لأئمتنا مقام ليبلغوا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذا كفر، ينظر هل قامت الحجة على قائله أم لا؟ وعندهم أن المهدي أفضل من أبي بكر وعمر بل أفضل من النبي ﷺ، وهذا من أبطل الباطل، بل هو في الحقيقة كفر.

ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر، كقولهم: حدثني قلبي عن ربي، أنتم تأخذون بالإسناد ميت عن ميت، ونحن نأخذ عن الله مباشرة وكأنه لا قيمة للوحي ولا للشرائع، فكل هذا كفر لا شك.

هذا الجزء هو أطول جزء نقله شيخ الإسلام عن ابن خفيف، والكثير من المتصوفة يعظمون ابن الخفيف ويرونه إمامًا.

على الرغم من الأقوال الكثيرة التي بينها ووضحها ابن خفيف إلى أنه لحتى الآن الكثير من الصوفية ينتحلونها، وابن خفيف من أهل السنة بين كفر هذه الأقوال، وإن كان هو من رؤوس الصوفية الذي يقول عليهم شيخ الإسلام صوفية أهل السنة، فكان كما ترى إنكاره لبدعة القصائد والرقص والمعازف فضلًا عن الحلولية والاتحادية وكلام المعتزلة والجهمية نسأل الله العفو والعافية.

سنقف عند "ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني" كلام
الجيلاني في إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم كلام الإمام البيهقي، ثم كلام أبي الحسن
الأشعري، وهو كلام مهم.

وإن يسر الله تبارك وتعالى سنختم الرسالة المجلس القادم أو الذي بعده، وسيكون بعده
الامتحان بإذن تبارك وتعالى الذي تترتب عليه الإجازة في هذا الكتاب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.